

تاريخ الاسر المارونية<sup>١)</sup>

تأليف المؤرخ اسطفان البشملاني

## ٣ - مؤرخو الاسر المارونية

فما سبق ان قد شاع وذاع وجود مجموعات تاريخية مخطوطة في اصل الاسر المارونية لسته من المؤرخين . فيجدر بنا ان نذكر قلمنا ما عرفناه بعد البحث والتتقيب عن كل واحد منهم لكي يتف القراء على حقيقة امرهم وصحة ما ينسب اليهم بما لا يزال مجهولاً . ثم نذكر بالايجاز لمحة من اخبار المشتغلين بتاريخ الاسر اللبنانية وما اتصل بنا من اعمالهم التاريخية، ولا سيما الذين حاولوا ان يؤلفوا قاموساً عاماً في تاريخ الاسر اللبنانية.

## ١ - القس جرجس مارون الاهدني

ورد ذكر هذا الكاهن في كتاب نشره ابراهيم ابو سمرا غانم تحت اسم مستعار « خليل هنام فايز » يتضمن ترجمة حياة والده ابي سمرا البطل اللبناني ، وذلك في الصفحة ٣١٥ من كتابه هذا عند ذكر نسب بيت غانم . قال « ورد نسب هذه العائلة في كتاب خط مجموعة فيه انساب بعض العيال في لبنان ، يميز الى القس جرجس مارون الاهدني اللبناني ، وضعه في القرن السابع عشر نقلاً عن مجموعات خطية ولسانية ومحلية . وقد عرضت هذه النسبة على العلامة بولس مسعد البطريرك الانطاكي الماروني سنة ١٨٧٥ فقال انها راجعة الاسناد ، وكان رحمه الله حجة المحققين في تواريخ وانساب العائلات اللبنانية . وبما افاده القس جرجس المذكور في نسب عائلة غانم ان جدها الاكبر كان موسى غانم ابن المقدم سعادة اللحفدي ، وقد لقب بغانم نظراً لفوزه وغنمه في موقعة جبيل التي جرت بين المقدمين الموارنة والمقدمين المسلمين في اول القرن الرابع عشر سنة ١٣٠٣م وكان النصر فيها لمقدمي الموارنة كما رواه المطران تاليزس الساكوري

(١) . (راجع المشرق ١٩٥٥ : ٤٠١) .

والمطران جبرائيل القلاعي اللخفدي الذي قيل عنه انه كان ابن غوريه من بيت غانم في لحد المولود سنة ١٤٤٩ والمتوفى سنة ١٥١٦ م « انتهى بحروفه .  
فالقس جرجس مارون الذي تنسب اليه هذه المجموعة قد ذكره البطريرك اسطفان الدويهي في حوادث سنة ١٦١٤ وانه ارتقى فيا الى اسقفية قبرس .  
وقد ارثه الامير فخر الدين المعني الثاني غير مرة سفيراً لدى الكرسي الرسولي وماروك اوربا بشأن احتلال جزيرة قبرس وحماية الشواطئ اللبنانية من الاسطول العثماني . ونشر صديقنا المؤرخ المحقق الحور اسقف بولس قرالي في كتابه «الامير فخر الدين المعني ودولة توسكانا» تقارير في غاية الاهمية قدمها المطران جرجس المذكور للملك اوربا والبابا بهذا الخصوص . على ان المؤرخين قديماً وحديثاً لم يذكروا لهذا الاسقف تاريخاً ، ولا نعلم ان احداً نقل عنه شيئاً بما عزي اليه من تاريخ الاسر . والذي نقله عنه ابراهيم ابو سمرا لا يستدل منه على محل وجود المرجع ليتمكن مراجعته ومعرفة صحة ما ورد فيه .

هذا وان المخطوطة المذكورة الوارد فيها ذكر اسما جدد الموارد اباطال ووقائهم وانساب اسرهم هي على جانب عظيم من الاهمية . فكيف اتصلت هذه الاخبار بعلم القس جرجس مارون دون غيره ، وقد حدثت قبل عبوره بثلاثمائة سنة . وكيف فات ذكرها العلامة الدويهي والساعة وغيرهم من علماء الموارد الذين رايتهم يجوبون البلاد ويتجشون الاسفار البعيدة في طاب المخطوطات ، ويبحثون عن الاثار والاخبار التي هي اقل اهمية بما ورد في المخطوطة المشار اليها . وكيف غابت عن علم المؤرخ النسابة البطريرك بولس مسعد الذي عرضت عليه هذه النسبة فافتي بصحتها . وانما راجعة الاستناد . ولم يأت على ذكرها في تأليفه ، وليس في مذكواته واثاره الباقية ما يشير الى المخطوطة وما فيها ، مع انه كان يبنى كل العناية بمثل هذه الامور . والذي نظنه ان هذا من الاخبار التي تروى عن لسان البطريرك بولس مسعد دون تحقيق ، ولذلك فلا يصح ان يكون دليلاً على وجود هذه المخطوطة .

ومن غريب ما يذكر في هذه المناسبة ان احدهم وضع كراساً عن جامعة « اسرة ضو » التي يقول ان اسرته تنسب اليها ، ومن جملة المراجع التي لجأ اليها لاثبات كون موسى غانم هو جد اسرة غانم احد فروع بيت ضو ، رواية

ابراهيم الي سمرا التي ذكرناها . لكنه بدلاً من ان يذكرها كما هي ويذكر مرجعها فقد استبدل القس جرجس مارون الاهدني المعروف بشخص وهمي وغير وارد ولا معروف هو « القس مارون البشراوي » وزاد على الاصل كلمة غشائي مغايراً « بانه يمّ بنسبه الى موسى غاشم النسائي المنشأ . . . »

واغرب من هذا ان واضع كتاب « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » الذي يزعم فيه ان اهم الاسر المارونية متحدرة من السريان اليعاقبة ، قد تبني رواية صاحب الكراس المذكور دون تحقيق زائغاً انه لما كان موسى غاشم جد بيت ضو وطلود وغاشم من بني غشأن ، والنسابة كانوا قاطبة يعاقبة ، فبنو ضو الموارنة . وفروعهم اصلهم اذاً يعاقبة . فانظر كيف يتصرفون بالتاريخ كل على هواه فيزيدون وينقصون ويحذفون الشواهد ، ولا يذكرون المراجع الموثوق بصحتها لاثبات اصل الاسر فتضيع الحقائق وتكثر الاوهام ، وما آفة الاخبار الا روايتها ( راجع كتاب « الموارنة في لبنان » للمرحوم الحورسقف يولس قرالي ص ١٢١ ) .

#### ٦ - القس يوسف اسكندر القرطباوي

نشر الاب غطين سالم السنخ القرطباوي الراهب اللبناني سنة ١٩٣٩ كتاباً يتضمن ديوان اشعاره ، والحلقه بنبذة تاريخية في اصل اسر بلدته قرطبا نقاباً على قوله سنة ١٩١٢ عن كتاب مخطوط يدعى « رفيق الراءظ » لواضعه القس يوسف اسكندر القرطباوي الاصل . ويقول ان هذا المخطوط من جملة المخطوطات التي كانت في مكتبة دير مار اشيا قرب برمانا وهي التي غني بجمعها وتنظيمها الاباتي عمونيل الببداتي رئيس الراهبية الانطونية . فاجب القس غطين ان ينشر نبذة وطنيه القس يوسف اسكندر في اخر ديوانه المطبوع ، لما فيها من الفوائد التاريخية عن كثير من اسر بلدته وغيرها . وهذه النبذة طويلة خلاصتها ان معظم اسر قرطبا والمقاورة المارونية ومئات الاسر المتفرعة منها في القرى اللبنانية كلها عربية الاصل .

على ان القس غطين لم ينشر النبذة المنقولة طبقاً لاصلها كما يفعل علماء التاريخ المدققون ، بل تصرف بها تصرفاً لا يقره عليه اهل التحقيق كما يظهر

للباحث البصير . والتريب ان انساب الاسر الواردة في هذه النبذة قد اثبتنا بصورة جازمة اكيدة ليس في حلقات لاسلها حلقة ناقصة او مشكوك في صحتها . فكأنه اخذ لاسل انساب العرب من ايام جاهليتهم كما هي واردة في كتب الانساب العربية وسردها الى ايامنا هذه نسباً كل اسرة من الاسر المارونية التي ذكرها الى القبيلة العربية التي اختارها ، وربما نسب عشر اسر مارونية او اكثر الى جد عربي واحد ، مع ما هنالك من مئات السنين التي تفصل زماننا عن زمان الجاهلية مما لا يبلغ اليه تحقيق نسب المشائز والاسر العربية المريقة نفسها .

وقد عدد القس غسطين كثيراً من المراجع الوارد فيها ذكر واضع النبذة ، ومنها ما كتبه عنه المطران بطرس شبلي والحوري ابراهيم حروفش وهما من كبار المحققين وائمة المورخين . ولكن لم ترَ احداً ذكر ان القس يوسف اسكندر وضع تاريخاً في اصل الاسر اللبنانية . هذا وان القس مبارك صقر الذي يقول القس غسطين انه هو الذي استنسخه النبذة عن اصلها قد كان من اصدقائنا ، وبين محفوظاتنا وناثق دون فيها بخط يده مختلف الاخبار المروية عن اصل اسرته « بيت صقر » ودفنها الينا قبل وفاته لثرى رأينا فيها وبقيت عندنا . فراجعنا هذه المعلومات ولم نجد فيها ذكراً للاب اسكندر ونبذته ، وليس فيها شي . ينطبق على ما ورد في النبذة المزعومة عن اصل اسرة بيت صقر . وكيف الوصول الى معرفة حقيقة الاسر والمخطوطة على قول القس غسطين ضاعت او غير موجودة ، والاباقي عموشيل البعدياتي والقس مبارك وغيرهما ممن كانوا يعرفون محتويات مكتبة دير مار اشعيا قبل تشتت مخطوطاتها في الحرب الكبرى الاولى قد توفوا ؟ وهذا لسري يكفي لمعرفة قية هذه النبذة التي استند صاحب كتاب « اصدق ما كان . . . » الى رواياته عن بعض الاسر المارونية ، بحجة ان ناسرها كما قال لنا « من علماء الموارنة مهما كان الامر » ( انظر النبذة المطبوعة صفحة ١٠٢ - ١٥٦ ) .

اما القس يوسف اسكندر الذي تنسب اليه النبذة فقد ولد في قرطبا وأرسل الى رومة العظى سنة ١٦٧٠م وعمره وقتئذ ١٢ سنة مع يعقوب عواد ( الذي صار فيما بعد بطريركاً ) وعاد الى بلاده بعد ان اتم دروسه العالية سنة

١٦٨٣ وراقه البطريرك الدوزهي في ٢١ حزيران ١٦٨٧ الى درجة الكهنوت على مذبح كنيسة سيدة قنوبين ، وجعله كاتباً لاسراره لما نحل به من اين المريكة وانه كما وصفه مثال الطاعة . وفي ٢٠ ايار ١٦٩٣ اصيب بمرض الطاعون وتوفي بدير قنوبين الكروسي البطريركي . ومن اثاره الباقية بين المحفوظات في خزائن بكركي يستدل على مبلغ علمه وتضلعه من اللغات . لكن ليس هناك اثر البتة للنبذة التاريخية التي نشرها له القس غطين في ديوانه ، ولا ذكر لمخطوطة او وثيقة بوضع تاريخي كهذا ( انظر مجلة المنارة السنة ٣ : ٥٨٤ و ٦ : ٨٠٨ ) .

## ٣ - البطريرك نخايل فاضل

ولد نخايل فاضل في بيروت حوالي ١٧١٠ م على الاصح ، وارسل الى رومة العظمى ، حيث تلقى العلوم والمعارف وعاد الى الشرق في ٢٤ حزيران ١٧٤٠ ، وفي ٢١ تموز من هذه السنة رسمه البطريرك يوسف ضرغام الحازن كاهناً وارسله الى عكا . فأنشأ في هذه المدينة كنيسة ومركزاً لانتها لطائفته التي سعى بجمع شتاتها بعد التعب والجهد . وقد رقاها المطران جبرائيل عواد ( ١٧٥٣ م ) الى رتبة برديوط ، ولكن السلطة اعادته الى بيروت حيث شرع بتجديد كنيسة المؤسسة على اسم القديس جرجس وذلك سنة ١٧٥٥ . ثم اقيم رئيساً على دير حراش سنة ١٧٥٩ فتولى تدبير رهبانه وراهباته بكل غيرة وحكمة مدة طويلة . وفي ١١ حزيران ١٧٦٢ رقاها البطريرك طوبيا الحازن الى المقام الاسقفي ، وقد صادف كثيراً من المتاعب لما وقع من الخلاف بينه وبين الاساقفة بشأن الولاية على ابرشية بيروت مما لا محل لذكره . واخيراً انتخب بطريركاً على المارونية في ١٠ ايلول ١٧٩٣ ولم يمض عليه زمن طويل حتى نزل به القضا . المحتوم في ١٧ ايار ١٧٩٥ ودفن في دير حراش بكسروان ( انظر مجلة المنارة السنة ٧ : ٢٥٨ ) .

وكان البطريرك فاضل من اكابر العلماء ، ونسب اليه مجموعة تاريخية تعرف بلم « كمال الاشمال في تاريخ الاماكن والعيال » وقد جرى على الالسة ذكر هذه المخطوطة وتساءل اهل البحث عما اذا كان وجودها حقيقة او رواية وهمية .

قالوا ان هذا التاريخ كان في خزائن المحفوظات في بكركي وان قد كانت نسخة منه في دير مار اشيا للرهبان الانطونيين . وذكر تلميذنا القديم الاستاذ اميل حبشي تاريخ فاضل في كتابه « جهاد لبنان » ص ٣٤٨ قال انه اعتمد في روايته عن اصل اسرته « بيت الاشقر » على اوراق دير مار اشيا وعلى تاريخ فاضل المذكور . وسأناؤه عن هذا التاريخ فاخبرنا ان والده انشأ نبذة عن اسرته نقلاً عن « كتاب الاشمال » صفحة ١١٨ واراد الاستاذ حبشي التثبت من صحة الرواية فبحث عن الكتاب في دير حراش حيث كان مؤلفه ، وفي خزائن البطريركية حيث نقلت مخطوطات هذا الدير فلم يجد له اثرأ ، حتى قال لنا زميلنا الاستاذ عيسى الملوّف « ان هذا الكتاب : كالتول والعنقا . والحل الوفي » . وفيما نحن نبحث وننتقب للوقوف على حقيقة هذا الكتاب ، اذا بالقس غطين يطلع علينا بنبذته التي ذكرنا امرها ، وفيها نجتمق لنا بصورة لا تقبل الرد « ان كتاب الاشمال الذي وضعه البطريرك مخايل فاضل هو نسخة طبق الاصل نقلها عن نبذة القس يوسف اسكندر ، وان هذا البطريرك المشهور انما هو نفسه الحوري مخايل القرطباوي خادم بيروت » على ان الذي ذكره الثقات « ان هذا الكاهن من قرطبا اصلاً ، وقد ارسل الى رومية ١٦٩١ مع بطرس مبارك الشهير . وبعد ان درس الفلسفة واللاهوت رجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ و صار كاهناً على رعية بيروت ، وحضر المجمع اللبناني ١٧٣٦ » وهذا كل ما عرف عنه . اما البطريرك فاضل الذي ذكرنا ترجمته نقلاً عن اصدق المراجع الحظية والطبوعة فهو اشهر من ان يعرف ، ولدينا ايضاً سلاسل انساب اسر بيروت المارونية القديمة وبينها اسرة البطريرك فاضل ، نقلها في اواخر القرن الماضي عن الشيوخ المارفين الحوري يوحنا دياب العنبلي خادم بيروت بخط يده . ونقلنا ايضاً وثيقة مهمة عن محفوظات بكركي لم تنشر وهي لواضعها الحوري جرجس فاضل ابن شقيق البطريرك الذي كان كما قال كاتباً لاسرار عمه وشاهد عيان لكل ما جرياته ، ولا سيما مدة وجوده بدير حراش الى حين وفاته ، مما يحق ان الحوري مخايل فاضل البيروتي الماقوري الاصل غير الحوري مخايل القرطباوي خادم بيروت .

لكن القس غطين لناية في النفس خلط الاثني مآ فغير وحرّف ووصل

بينها بسلسلة انسابه العربية المزعومة ، وخلق منها شخصاً عجيباً بلغ من العمر اكثر من ١١٥ سنة « على حسابه » وجعل يوسف اسكندر ومخايل فاضل ومخايل القرطباوي من بيت السخني اسرته التي انشأ لها فروباً كثيرة منسقة الانساب ، وكالها « عربية تنسب الى السخنة في بادية الشام وطن جدوده وبلدة نسيه البدوي احمد عبد العزيز جاد الله الخ ... من بني مقابل الذي شرف قرطبا سنة ١٩٣٦ للتعرف على انسابه في لبنان بيت السخن الذين اصلح القس سالم نسبهم وصحح عمادهم باسم السخني » وعلى الجملة فانه فتح فتحةً مبيتاً يقلب اوضاعنا ويغير وجه تاريخنا ويهدم كل ما بناه علاؤنا هو وصاحب كتاب « اصدق ما كان ... » فكلاهما يتنازعا مارونيتنا : الاول بالاصل العربي والثاني بالاصل اليعقوبي ، كأن الموارنة بلا اصل !!!

٤ - البطريرك بولس مسعد

كان التناوب البطريركي بولس مسعد اقدر اهل عصره في التاريخ وخاصة تزيخ الاسر ، وله مؤلفات مشهورة في تاريخ طائفته المارونية والدفاع عن صحة معتقدها الديني ، اهمها كتاب « الدر المنظوم » وكان خبيراً بالاصول والانساب ، ويرري الناس عنه اقوالاً ماثرة بنى عليها كثيرون قوايخ اسرهم . وذكروا انه وضع تاريخاً للاسر لاقتادهم بسعة اطلاعه وغزارة علمه ، وشاع ذلك عنه وذاع حتى اكد بعضهم وجود هذا التاريخ عند اقاربه الا انه لم يظهر شي . منه حتى الآن ، وقد مضى على وفاته اكثر من ستين سنة . قيل ان السبب في عدم نشر تاريخه انما كان اضطراره الى قول الحقيقة في اصل الاسر التي حازت نباهة الذكر واحلها حامل . والذي نظنه ان السبب الذي منعه عن نشر معلوماته التاريخية عن اصل الاسر انما هو ما عرف به هذا البطريرك من التحفظ والحذر لما في تحقيق اصول الاسر اللبنانية من الصعوبات التي اشرفنا اليها في تاريخنا ، فخاف ان ينشر معلوماته ويعرض نفسه للنقد الذي كان يتحاشاه ويحاذره .

ويا ليت نشر هذه المعلومات على علائنا وذكر مصادرنا المروية ، اذن لكان له من ذلك عذر كافي ولكان ادى للتاريخ والوطن والطائفة اكبر خدمة . لانه كان في عصره اكبر ثماننا بهذا الفن ، ضم صدره مجموعة واسعة من اخبار

الموارنة واسرهم وقد كان اقرب منا عهداً الى جددنا الماضين من الثقة الثقات،  
واوسع اطلاقاً على تقاليد القوم ورواياتهم التي تكيفت وتطورت مع الايام  
حتى كانت تبعد عن اصلها، واصبح الحصول عليها والبحث في تحقيتها ومصادرها  
امراً صعب المثل . ويظهر انه كان كما يتبين من كتاباته شديد الحذر، ولعله  
اراد الاحتفاظ بما جمعه من اخبار الاسر فضاع وتشتت بعد وفاته .

وروى لنا احدهم : ان البطريرك كان عنده في بكركي راهب (لعله القس  
اسبيريدون الرموني الانطوني ) فلما توفي البطريرك، وكانت الاوراق التاريخية  
تحت يده مجموعة كرايس . فكان الناس يتهاقون عليه ، وكان كل من  
يطلب اليه شيئاً عن تاريخ اسرته فيسرق الاوراق التي فيها المعلومات المطلوبة  
ويدفعها اليه . وقيل ان المعلم رشيد الشرتوني عثر على اوراق البطريرك يولس ولم  
يتبها له نشرها فاخذها ولده الذي ابتاعها منه سلوم المكرزل في اميركا .  
ويا ليت هذه الرواية صحيحة اذا لكانت نشرت الاوراق حالاً في جريدة الهدى .  
ومجئت بنفسني في خزائن بكركي وامين المحفوظات فيها اليوم صديقنا العالم  
المحقق الحورسقف ميخائيل الرجبي ، قرأت اوراقاً مثيرة بنحط البطريرك وفيها  
نتف عن الانساب واصل الاسر . وقد جمع هذه الاوراق نسينا الحوري  
ابراهيم حورفوش الذي كان امين المحفوظات زماناً ، وقد طالعتنا فوجدت فيها  
قوائد لا بأس بها . وهناك مذكرات او يوميات البطريرك التي كان يدون فيها  
يوماً ، حوادثه الجارية وتنقلاته عند ذهابه الى مصيفه او رجوعه الى مشاه  
مورخاً اليوم بل الساعة ، وذكر رحلته الى اوربا والاستانة . وكل هذه  
المذكرات مرجزة دقيقة كأنه كان يريد التبسيط . وهناك شذرات كثيرة  
معظمها مسردات كتابه « الدر المنظوم » الذي قيل انه كان يريد تجديد طبعه  
بعد تجريده من الطاعن والتبكم ، فات ولم يخرج هذا الفكر الى حيز العمل .  
وبين هذه الاوراق معلومات تاريخية مرسلة من بعضهم اليه والارجح انها أرسلت  
بناء على طلبه . ولا ندري اذا كان قد نقل هذه الرسائل والورقيات المنشورة  
وبيتض مسوداتها بدفاتر ، او انها بقيت على ما هي متفرقة فضاع اكثرها .  
وامم ما بقي من هذه الاوراق مجموعة مكتوب عليها عنوانها « قرونينون  
البطريرك يولس مسعد » بنحط المطران بطرس شبلي ، وهو عنوان لكتاب كان

قد بدأ به البطريرك ليجعله تكملة لتاريخ الدويهي ، يذكر فيه موجز تاريخ القرن الثامن عشر . وقد جمع له شتات الاخبار والمعلومات ودون معظمها على اوراق متفرقة بين محفوظاته التي سلمت بعدما اصاب القسم المتعلق منها بتاريخ الاسر من نكبة الضياع والتزريق كما هو آفة التاريخ ونكبة المؤرخين . ولم يسلم من مجموعها الا كراس يحتوي اخبار الثلث الاول من القرن ١٨ وهو يتضمن تاريخ الحوادث من سنة ١٧٠٠ التي انتهى فيها تقريباً تاريخ الدويهي الى غاية سنة ١٧٣٧ اي بعد نهاية المجمع اللبناني . وقد حافظ المطران شبلي فقيد العلم على النسخة الاصلية المكتوبة بخط مسعد في ٤٦ صفحة وعمل لها العنوان المشار اليه ، وهي محفوظة في جاورر آثار هذا البطريرك التاريخية عن الاسر وغيرها . ولم يقيض له اقام عمله هذا او تبيض مسوداته التي بقي منها الشذرات التي نسخناها نحن عن اصلها بكل ضبط وتدقيق ، وهي اشبه بدرر منثورة يجب ان تجمع في سلك . وقد نقلناها كما كتبها البطريرك بخطه الذي هو اشبه بالهيمات ، وفيها الكثير من المفاخر والعبر التاريخية التي لم ير بعضها النور حتى اليوم .

بقي علينا ان نقول كلمة موجزة في ترجمة هذا البطريرك : فهو من اسرة مارونية عريقة ولد في عشقوت كسروان في اوائل شباط سنة ١٨٠٦ وتلقى علومه الاولى في مدارس لبنان المارونية : الرومية وعيظورة وعين ورقة حيث ظهرت نجابته وتفوقه ، فارسله البطريرك يوسف حبش سنة ١٨٢٦ الى رومية حيث تلقى في المدرسة المارونية العلوم العالية ونال منها القسط الوافر . وعاد سنة ١٨٣٠ الى وطنه مكتفياً بما حصله لسبب انحراف طراً على صحته ، فتلقاه البطريرك بالترحاب ورفاه في ١٣ حزيران من هذه السنة الى درجة الكهنوت وعينه كاتباً لاسراره . وفي ٢٨ آذار ١٨٤١ رفعه الى درجة الاسقفية وجعله مطران شرف على طرسوس ونائباً روحياً له ، فاحسن القيام بالمهام التي عهد بها اليه في عهد البطريركين الحبيشي والحازني . وتوفي البطريرك يوسف الحازن فانتخبه الاساقفة خلفاً له في ١٢ ت ١٨٥٤ وتولى البطريرك بولس مسعد تدبير شؤون طائفته بحكمة وغيرة . وعقد مجمع الولاية ( ١٨٥٦ ) فافرح فيه كتوز معارفه طبقاً لمبادئ المجمع اللبناني . ورتق الى الاسقفية ١٥ مطراناً وانشأ للبطريركية

مكتبة عامرة بالكب النغيسة، وجمع شتات الهوايات الرسولية ورسائل الملوك والحكام الى غير ذلك من الانشاءات والاصلاحات محافظاً على عزة المقام البطريركي وكرامته . وزار رومة العظمى وباريس والاسنانة سنة ١٨٦٧ ، وقابل البابا بيوس التاسع ونابليون الثالث امبراطور فرنسا والسلطان عبد العزيز، ولقي كل اكرام واعتبار . وكانت وفاته في ١٨ نيسان ١٨٩٠ في بكركي وبعد حفلة الجنائز نقل الى عشقوت مسقط رأسه ودفن في الضريح المعد له في كنيسة مار بطرس .

والآن لا يسعنا الا ان نشيد بفضلته على التاريخ وعنايته في جمع محفوظات الكرسي البطريركي وصيانتها ، فقد دون الكثير منها بخط يده ، وامر بجمعها وضما الى ما جمعه البطريرك الدوميني والبطريرك يوسف اسطغان من السجلات والوثائق والآثار التاريخية التي تخلد لهم الذكر الجيد ، وقد اصبحت مراجع صحيحة لاهل البحث وطلاب الحقيقة . ولا بد لنا ان نذكر : ان الحوري منصور الحدوثي الذي نشر تاريخاً مطبوعاً باسم « المقاطعة الكنروانية » وفيه فوائد كثيرة تتعلق بتاريخ لبنان ولاسيا كسروان ، قد صرح في كتابه هذا انه اخذ عن البطريرك . سعد اكثر معلوماته عن اصل الاسر وغير ذلك من الحوادث والاخبار . وهكذا قال في النبذة التي وضعها عن «دلبنا وتاريخها» وهي التي نشرها صديقنا الحوري بطرس روفائيل في تاريخه الذي وضعه عن هذه البلدة ونشره في « المشرق » لكي يكون مثالا لمن يريد ان ينشئ تاريخاً . وعلى الجملة فان هذا البطريرك كان في ايامه اكبر مرجع في تحقيق الامور التاريخية وحل مشاكلها الصعبة ولاسيا مشكلة اصل الاسر واناسيا .

#### ٥ الحوري يوسف سعادة الحصاراتي

وبينا كنا نبحث عن المخطوطات بلبنان ان في حصارات من بلاد جنينيل مخطوطة تاريخية عند كاهن ماروني يدعى الحوري يوسف سعادة الملقب بالزناتي، وان في هذه المخطوطة تواريخ مختلفة منها تاريخ الاسر التي خرجت من بشله (وطن جدودنا القداما) فكافنا صديقاً لنا يدعى مازون صغير كان يتردد الى تلك الجهات لينع بزر القرمان ينقل لنا عن المخطوطة والاصح عن صاحب

المخطوطة تاريخ اسر بشله ففعل . وعلى سبيل المثال نذكر روايته عن جدنا ابي رزق البشلافي قال ما ملخصه : « ان الجد هو صهيون من قبيلة بني غسان ملك الشام . . اتى الى بشله من كفرطابو من بلاد عكار سنة ١٣٠٠م فولد له في بشله رزق الذي ولد له يونس ومبارك . ويونس اولد خمسة اولاد اكبرهم رزق جد عائلة رزق ، ويونس قتل في طرابلس شهيداً . ومبارك هو جد بيت مبارك والحوري والسعد . . »

- لا ندري ما هي المصادر التي اخذ عنها صاحب المخطوطة هذه الرواية التي تناقلها بعض المؤرخين دون بحث . وقد عرفنا انه توفي منذ سنوات واتصلت المخطوطة بانسابه ، وانه كان يروي روايات كثيرة عن الاسر وتاريخها . وكان يأتيه طالب المطومات عن تاريخ اسرته ، فيدخل غرفته ثم يخرج اليه ويعطيه مطلوبه دون ان يدعه يرى المخطوطة ، وهكذا كان يفعل ورثته من بعده . ولذلك فان الطارقين لم يطلعوا عليها لتعرف قيمتها التاريخية ، والذي ظهر لنا ان صاحبها خلط الصحيح بالباطل . وتبين لنا من الروايات المنقولة عنه انه غير ثقة ، ولا سند لاخباره حتى ان بعضها لا يمكن تصديقه لبعده المهمل وغرابة الحوادث ، وقد رأينا ان يخطئ في ايراد الاخبار المروفة التي ذكرها الدويهي . فاذا كان هذا شأنه في ذكر الاحداث القريبة المهمل فكيف يصح الاعتماد عليه في الامور القديمة دون وثيقة ولا مرجع سري الاقارب التي لا طائل تحتها .

## ٦ الحوري يوسف توما المتداري

هو المعروف بحوري بلأ وهي قرية غير بعيدة عن حدث الحبة ، يدعي ان عنده مخطوطة لا تبعد حكايتها عن حكاية زميله الزناتي . فانه لم يدع احداً يطلع عليها بل كان يجيب السائل عن تاريخ اسرته بعد ان يدخل غرفته ويأتيه بطلبه كما كان يفعل الزناتي . وللحوري يوسف هذا ولدان كهذان مثله تعرفنا اليها وسمنا ما يرويان من اخبار الاسر المارونية التي يقولون انها مأخوذة عن مخطوطة والدهما . واعتقد ان روايات هذا التاريخ كروايات تاريخ الزناتي ، وقيمتها التاريخية لا تختلف عن قية تلك . وقد نقل عن هذه المخطوطة صديقتنا الباحثة الاب اغناطيوس خانوس الراهب اللبناني كثيراً من محتوياتها ، فرأينا

فيها الفث والسين، مما يدعو الى العيرة لعراية الروايات والى الشك بصحتها وقلة الثقة بها لعدم ذكر المراجع . وقد توفي الحروري يوسف العنداري في اواسط ك ١٩٥١

٥

انتهينا الآن من المخطوطات الست المنسوبة لسته من المؤرخين، وقد كتبنا ما عرفناه من امرهم بعد البحث والتحقيق ، ولا غاية لنا الا قول الحق وتجنب الباطل . ولتقابل ان يقول : « انك شديد في احكامك التاريخية » فنجيب ان الحقيقة يجب ان تقال حتى ولو جرحت . وبعد ان راينا الفوضى التي يتخبط بها القوم واستلامهم الى الاساطير والارهام من جهة تاريخ اسرهم ، لا يمكننا ان نقبل ما يقدمونه من المآذير اذ يقولون : « ان ليس عندنا غير هذه الاخبار فتسك بها على علاتها الى ان نجد اصح منها » فالحديث بنا ان نكتفي بالقليل الصادق الثابت من توارخنا ولو كانت قصيرة المدى ، فذلك خير لنا من انتحال الاخبار المختلفة والروايات المصنوعة او المشكوك بصحتها ولو كانت طويلة . ويكفي ان يكون لنا تاريخ حقيقي منذ مائة سنة من ان يكون تاريخنا منذ مئات وآلاف السنين وهو باطل من اساسه ومبني على حكايات مزورة وتقاليد يدعيها كثيرون .

وحرري بنا وقد بلغت الحالة الى ما لا يطاق من الفوضى ، ان نعمل على ازالة الارهام لا المعاونة على تقريرها ونشرها وتدوينها بصورة مبهجة طلبة نعر الدج ، وربما اضلت العلماء . بظهورها الجذاب وطريقتها العلمية . فيسرد الوهم وتكثف الاقاصيص ويصبح تاريخنا مجموعة خرافات واساطير ترسخ في الاذهان ويصعب تزعيها شأن كل بدعة وضلال . وكيف نفرقا هذه الروايات السخيفة التي يتناقلها بعض مدعي المعرفة عن مؤرخين ليسوا من اهل التحقيق بحيث لا يليق ان تتخذ اقوالهم حجة لتقرير حقائق عريضة عجز عن تحقيقها اكبر العلماء . لان علم التاريخ لا تكفيه المعرفة والمثالة بل يلزمه الخبرة وسعة الاطلاع ورسوخ القدم في هذا الفن والتأزم عن التايات والتجرد عن الاغراض والمفاخرة بالحسب والنسب ( راجع كتابنا « تاريخ بشعله وصلبا » صفحة ٤٤٤ ) . والآن نذكر الذين شرعوا في وضع قاموس للاسر اللبنانية ولم يتبأ لهم اتمامه والذين اتوه ولم ينشروه وهم الآتي ذكرهم :

١ - الاباى عنونيل عبيد البعداني

انشأ تاريخاً يبتدى من السنة ١٨٦٠ الى ما قبل وفاته ١٩٣٢ يقع في نحو عشر مجلدات كل مجلد الف صفحة ، ضمنه كل ما جرى في زمانه من الحوادث والايخبار ولا سيما المتعلقة بطائفته المارونية و رهبانيته الانطونية ، وكان يكتبه بخط يده كذكرات يومية . ثم وضع قاموساً جمل قسماً منه للاسر المارونية اللبنانية وقسماً للقرى التي يسكنها الموارنة . وحدثني واحد من رهبانيته انه استعان على تأليف هذا القاموس بمعلومات البطريرك يولس مسمد المتقولة بواسطة القس اسبيريدون المرموني الانطوني الذي كان في الكرسي البطريركي . وقد ارسل البعداني هذه المذكرات التاريخية وقاموس الاسر والقرى الى الاباى لوبس عبيد رئيس دير الرهبان الانطونيين في رومية ليتولى نشرها هناك فلم يتمكن من ذلك ، فأعادها الى مؤلفها الذي عهد الى المدير يوسف الشدياق لنشرها بعد ان اصبح هو عاجزاً عن ذلك بسبب مرض في عينه افقده البصر ، وسرف ترى فيما يأتي ما كان من امر هذين الكتابين .

اما الاب عنونيل فقد ولد في بعدات سنة ١٨٤٧ وانتخب مديراً ١٨٨٣ ورئيساً عاماً للرهبانية الانطونية ١٩٠١ وتول به القضاء المحكوم في ١٤ ك ١٩٣٢ وقد كان في ادوار حياته الرهبانية كلها مثلاً للنسك والتجرد وحفظ القانون حتى اصبح المثل الاعلى للغيرة والاخلاص والتراحم ، وعُد من اكبر المصلحين في الرهبانية مع ما قام في سبيله من العقبات . واشتهر بالفضل والعام والهدى بحيث انه كان قدرة للرؤوسين والرواسا بالطاعة والحكمة وحسن التدبير ، فازهرت الرهبانية في عهده بالنهضة والتهديب الرهباني . وكان مجلسه ميباً وقوراً لا يتل جلسه من احاديثه الطلية ، لما تبطته من فوائد تاريخية وطنية وما حوته من درر الاقوال والنهج العبر . ونشر كتابه « تاريخ الرهبانية الانطونية » فكان اسبق المؤرخين في الرهبانية المارونية ، فضلاً عن مذكراته التي ذكرناها . وفوق ذلك فان هذا الشيخ الجليل قد كان تاريخياً حياً وشاهد عيان لما ذكره في تأليفه من الحوادث .

## ٢- المدير يوسف الشدياق

هو من اسرة الشدياق المشهورة ، ولد في حدث بيروت ، ودرس بمدرسة المزار في غزير وفي مدرسة قرنة شهبان ومدرسة الحكمة . وفي ١٨٨٣ دخل الرهبانية الانطونية فدرس الفلسفة واللاهوت في الدير وسج كاهناً ١٨٨٩ ودرس الفقه على الاستاذين انطون صالح ببدا وشاكر افرام البستاني . وتولى ادارة مدرسة مار اشعيا وكتابة اسرار الرئاسة العامة ، وانتخب مديراً وعين وكيلاً عاماً . ثم اسس مدرسة مار يوسف قرب دير مار انطونيوس ببدا ، وانشأ في هذا الدير مجلة « كوكب الجرية » والمطبعة (١٩١١ - ١٩١٦) وكانت وفاته في ٢٨ نيسان ١٩٤١ وكان كاتباً ضليماً له بعض آثار ادبية ، وقد عهد اليه الاباتي عمونيل البغداتي نشر اثاره التي ذكرناها بعد عجزه وقصد بصره . فاختصر المذكرات التي تقع في عشر مجلدات اذ اهمل ذكر المناشير الجرية والفرمانات السلطانية وغير ذلك بما هو منشور ثم كلف الاستاذ الياس سلهب فنقل هذا المختصر بخطه الجميل ليكون معداً للطبع .

ثم عهد الشدياق الى الكتاب الذي ذكرنا ان البغداتي وضعه لتاريخ الاسر والقرى المارونية بלבنا ، وتبسط فيه وزاد عليه ، آخذاً معلوماته عن بعض المصادر وأهمها روايات عن اصل الاسر المارونية كما نقلها له راهب انطوني اسمه الاخ مخايل التنوري، فكلفه جمع هذه الروايات التي تلقاها من اهالي القرى التي كان يزورها لاشغال تتعلق بالرهبانية. وبينما الشدياق مكب على الجمع والتلخيص تزل به مرض شديد الزمه الانقطاع عن العمل ثم لم يلبث ان وافته الاجل ، ولم يتسكن من نشر هذين المؤلفين . وبعد وفاته نقلت هذه المخطوطات المجموعة الى دير مار روكو مركز الرئاسة العامة . ثم عني صديقنا المفضل الاب اشعيا الاسمر الذي هو اليوم رئيس الرهبانية العام بنقلها الى دير مار اشعيا برمانا حيث تمفظ مع المخطوطات في المكتبة . وقد زرنا الدير (١٩٤٥) ومنا زميلنا ورفيقنا في جهادنا التاريخي الاب اغناطيوس طنوس اللبثاني ، واطمأنا على المجموعات المشار اليها كلها ، غير ان النسخة التي استنسخها العموني عن البطريرك بولس مسعد غير موجودة بين هذه الآثار الثمينة التي اوصينا بصيانتها وقد وقفنا

على كثير من محتويات محفوظات مكتبة الدير ، رحم الله من انشأها وساعد في جمعها وصورها من الضياع . هذا واننا قد راجعنا المصادر التي اخذ عنها الشدياق معلوماته ونقلنا عنها ما ييسرنا منها بعد تحقيقها .

## ٣ - المورسيف غائيل الحوريس

كان المونسنيور الحوريس شديد الميل الى التاريخ مولماً بالآثار ، وقد جمع كثيراً منها بين محفوظاته ، فألف مجموعة تاريخية للاسر المارونية مرتبة على حروف المعجم . وقد عثرنا على دفاتره المكتوبة بخط يده عند صديقنا الاديب ابن شقيقه الاستاذ جورج الحوريس ، فقبلنا عنها بعض ما يتقصدنا من المعلومات عن اصل الاسر . ويظهر ان المونسنيور عني بجمع اخبار الاسر بنفسه ونقلها . بخط يده عن تقاليد القوم ومحفوظاتهم . وهي مجموعة « رؤوس اقلام » مما يدل على انه كان ينوي ان يخرج للناس تاريخاً لاسر ابرشية بيروت المارونية بما عرف به من بلاغة في الكلام وتحقيق في الاخبار . لكن الذا . تول به فاوقف ذلك القلب الكبير عن الفكر ، والقلم عن الجري في مضمار الكتابة ، وقد كان من فرسانها المجلين ، فقضى مسرفاً على فضله وعلمه .

واسرة الحوريس من الاسر المارونية العريقة ، نشأت في قرية حاقل من بلاد جبيل منشأ كثير من البيوتات اللبنانية الوجيهة ، وقد رحلت منذ ثلاثة قرون الى المان لانذة بالامراء المسلمين حكام البلاد ، ثم انتقلت بعد زمان الى بلدة برج البراجنة . وقد نشأ منها رجال زعامة وفكر توارثوا المجد كابراً عن كابر بما اتوه من جلائل الاعمال ، ومن هذه الاسرة نبغ المونسنيور الحوريس الذي ذكرنا اثره التاريخي فضلاً عما له من الآثار الادبية . ولد في برج البراجنة ١٨٧٢ وترى على الغضيلة والاخلاق العالية ، وتلقى العلوم بتدريسة الحكمة التي انشأها (١٨٧٥) فقيده العلم والوطن انظران يوسف الدبس ، وقد اعجب بذكائه واهليته فرقاه الى درجة الكهنوت المقدسة . وتولى الحوريس وظائف عديدة ومهمات خطيرة ، فوفاهما حقها وقام بيا خير قيام بما دل على حصافة عقله واصالة رأيه وعارحمته وحسن تدبيره ، وقد ادى للوطن وللطائفة خدمات جليلة تذكر فتشكر كما قال في رثائه البطريك الحويك ، وكان اعرف الناس باقدار الرجال

والتم الإنسانية . وكانت وفاته في ١١ كانون الاول سنة ١٩٣١ رحمه الله .

٤ - الاستاذ عيسى المولف .

من اشهر المؤرخين المحدثين صديقنا المؤرخ الكبير الاستاذ عيسى اسكندر المولف . ولد في قرية كفرعقاب من قضاء المتن في ١١ نيسان سنة ١٨٦٩م وهو عالم عامل خدم الوطن والثقافة خدماً جليلاً بتعليم النشء ووضع التآليف العلمية المفيدة والمبتكرة . واشتغل بتاريخ الاسر فنشر بالطبع سنة ١٩٠٨ كتابه «دواني القطفوف في تاريخ بني المولف» ذكر في حواشيه ، فضلاً عن تاريخ اسرته ، وجز ما اتصل به من المعلومات عن تاريخ كثير من الاسر اللبنانية والشرقية . وصرف عمره لي جمع وتآليف موسوعة تاريخية في الاسر تقع في نحو ١١ مجلداً باسم «الاخبار المدونة والمروية في تاريخ الاسر الشرقية» لا يزال حتى الان مخطوطاً ، ولم نطلع عليه لكننا نعرف انه يتضمن كل ما اتصل به من تواريخ الاسر المارونية بحيث ان كتابه يعد اكبر موسوعة لتاريخ الاسر كما يظهر : ما نشره في المجلات المهمة . هذا وله من الآثار التاريخية كتاب «تاريخ زحلة» وكتاب «تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني» وهو مصور و«تاريخ بني اليازجي» ومجلته «الآثار» في عدة سنوات . وله مقالات تاريخية وعلمية شعراً ونثراً نشرت في المجلات . وله كتب ومجموعات مختلفة في فنون العلم والادب والتاريخ لا تزال مخطوطة ، وكلها تدل على ما بذله هذا العالم الجياد من المجهود والبحث والتنقيب خصوصاً بمجمعه طائفة كبيرة من المخطوطات النادرة التي اكتشفها واحرزها . وحسبه هذه الآثار القيمة التي وضعها او جمعها ولم يتيسر له ان ينشرها لكساد بضاعة العلم ولا سيما التاريخ ، وتنتهي على انجاله النجباء الذين هم اشبال ذلك الاسد ، وقد اتحفوا العلم بنتائج افكارهم وغار نبوغهم في الشعر والادب ، ان يخرجوا للناس بالطبع آثار والدهم ، ولا سيما موسوعته في تاريخ الاسر تميزاً لهذا الفن الذي نحن بحاجة ماسة اليه . ويا حبذا لو تنشر في حياته للاشراف عليها والاستماتة به على تصحيحها ، اطال الله عزيز بقائه .